

ألف حكاية وحكاية (١١٥)

تعبان حول العنق

وحكايات أخرى

تأليف

يعقوب الشاروني



رسوم
تامر الشاروني

الناشر

مكتبة مصر

بمبادرة وزارة الثقافة

شايخ كامل صادق - القاهرة

٥٩٠٨٩٢٠

في متحف العلوم وعمره سنة

عمره سنة وشهور قليلة ، وقف أمام المرآة المقعرة ، وتأمل صورته المضحكة .

ثم أمسكت أمه الشابة بيده ، وجعلته يتقدم خطوة نحو المرآة ، فرأى صورته الغريبة تكبر . وأبعده ، فشهد صورته تصغر . ثم قاده ناحية المرآة المحدبة .. وبعدها إلى المرآة المستوية ، ثم تركته يتنقل وحده في شغف وحب استطلاع بين المرايا ، يتأمل الاختلافات بين صورته في سعادة ودهشة .

شاهدت تلك الأم في متحف نيويورك للعلوم ، الذي يتطلب ممن يدخله أن يتعامل بكل حواسه مع كل ما فيه .

وتبعته مع رضيعها إلى ركن " الأصوات " ، حيث أمسكت عصا " الإكسلفون " ، لتمرر بها على قطع المعدن المختلفة الأطوال ، فيستمع الصغير إلى نغمات السلم الموسيقي . ثم تُعطى العصا لابنها ، فيضرب بها قطع المعدن ، فيشعر بالسعادة نتيجة ما استطاع أن يُشيره من أصوات .

ثم انتقلت به إلى ركن الألوان ، ليرى كيف يمتزج الشعاع الأصفر مع الأزرق ، فيصبحان شعاعاً واحداً أخضر اللون .



وهكذا لم تترك جهازًا من أجهزة التجارب العلمية ، إلا وتركت رضيعها يتعامل معه ، وهو الذي لم يتعلّم المشي إلا منذ ثلاثة أو أربعة أشهر... والرضيعُ يستخدمُ يديه وعيَّنه وأذنيه ، ليكتسبَ خبراتٍ جديدةً ، قد لا يفهمُ معناها الآن لكنها تتركُ على حواسِّه بصماتٍ لن يمحوها الزمنُ .

ثعبان حول العنق

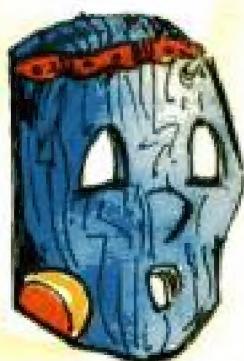
حول عنقه التفّ ثعبانٌ أصفرُ ، تزخرُفه حلقاتُ حمراءُ ..
وفوجئَ الصغيرُ بهذا الذي ظنّه حبالاً ، يتلوّى فوق ذراعِ
موظفِ الاستقبالِ .
وفتحَ الصغيرُ فمّه في دهشةٍ متسانلاً ..
لكنّ قبلَ أن يُلقيَ سؤاله ، كانَ موظّفُ الاستقبالِ في متحفِ
نيويوركِ للأطفالِ ، قد أمسكَ برأسِ الثعبانِ ، وقربّه من يدِ الصغيرِ .



وبحركة لا شعورية ، تراجع الصبي وهو يهتف : " إنه ثعبان !! "
وضحك موظف الاستقبال ، وأمسك برفق بيد الصغير وهو يقول
له : " إنه من نوع لا يؤذي .. غير سام .. ألا تريد أن تتحسس
جلده ؟ "

وانتابتني الدهشة من جرأة الصغير ، فقد سيطر عليه حب
الاستطلاع ، الذي أنساه كل خوفه ، ومدّ يده يتحسس جلد الثعبان .
بينما منعتني خوفاً ، الذي زرعتُه التربية في أعماقي ، من أن أشارك
الصغير خبرته الجديدة !!

وفي جانب آخر من المتحف ، عرضوا ثلاثة أقنعة خشبية ،
وطلبوا من الصغير أن يدخل يده في فراغ مظلم مجاور ، ليحدد من
خلال اللمس ، أي الأقنعة يشبه هذا القناع الذي يلمسه في الظلام .
وفي الطريق إلى البيت ، قال الصغير : " أكثر شيء أعجبنى ،
هو نعومة فراء الأرنب ، الذي تحسّسناه في مسرح الحيوانات ، أثناء
الحوار حول الفرق بين الأرنب المنزلي والأرنب البري . "



أين اختارت أن تقضى وقت فراغها

كانت تجلس فوق درجات السلالم المؤدية إلى " ركن الأصوات " ، في القاعة المخصصة لأطفال ما قبل المدرسة ، بمتحف نيويورك للعلوم .

وظننت في البداية أنها تراقب أطفالها وهم يلعبون .
ودخلت مع حفيدي وحفيدتي ، وتركتهما يحاولان تركيب كرات خشبية في أطراف عصي ، لإعطاء شكل الإلكترونيات وهي تتحرك داخل الدرة .

وواجه الصغيران بعض الصعوبات . لكن قبل أن أقدم لمساعدتهما ، وجدتها تترك مكانها ، وتجلس بجوارهما على الأرضية المغطاة " بسجاد الموكيت " ، وتشجّعهما على إكمال العمل بأنفسهما ، فقد اكتفت بأن أوضحت للصغيرين كيف يتغلبان على ما صادفهما من عقبات ، وتركتهما يواصلان " اللعب والعمل " وحدهما .

ثم اندمجت هي في اللعب مع الصغيرين ، فانتقلت بهما من ركن إلى آخر من أركان القاعة ، لاكتشاف عالم الأوزان ، والقياسات ، والوقت ، والمرايا ، والألوان ، يسألانها فتجيب عن أسئلتهما بأسئلة أخرى ، ويطلبان مساعدتها فتطلب هي مساعدتهما ، وكلما أنجزا شيئاً تشجّعهما تشجيعاً .

واكتشفت أنه ليس معها أى أطفال . وعندما سألتها ، قالت :
" هذه هى طريقتي فى قضاء وقت فراغى : أن أشارك الصغار
أنشطتهم فى متحف العلوم .. فأنا واحدة من بين عدد كبير ،
يتبرعون بساعات قليلة كل أسبوع ، لتنمية الاتجاهات العلمية عند
الأطفال داخل المتحف ."



آلة الزمن في مصر القديمة

عندما حملتنا آلة الزمن داخل "سفينة فضاء اسمها الأرض" الفضية اللون، وهي أكبر مبنى كروي في العالم، وذلك عند مدخل "مدينة ديزني العلمية" في فلوريدا بأمريكا، كان أول توقف طويل لها، أمام أحد ملوك مصر الفرعونية، وقد ظهر وسيماً ذكياً قوياً له هبة، وبجواره الملكة ترتدي أجمل الملابس والحلي ذات الذوق الرفيع، وأمامهما كبير الكهنة على كتفيه جلد الفهد، وأمامهم يجلس "الكاتب المصري"، يسجل على ورق البردي توجيهات رجال السلطة والدين.

وارتفع صوت قائد آلة الزمن، يقول في تأكيد: "بعد عصر القبائل المتفرقة، أقامت مصر، منذ أكثر من خمسة آلاف سنة، أول

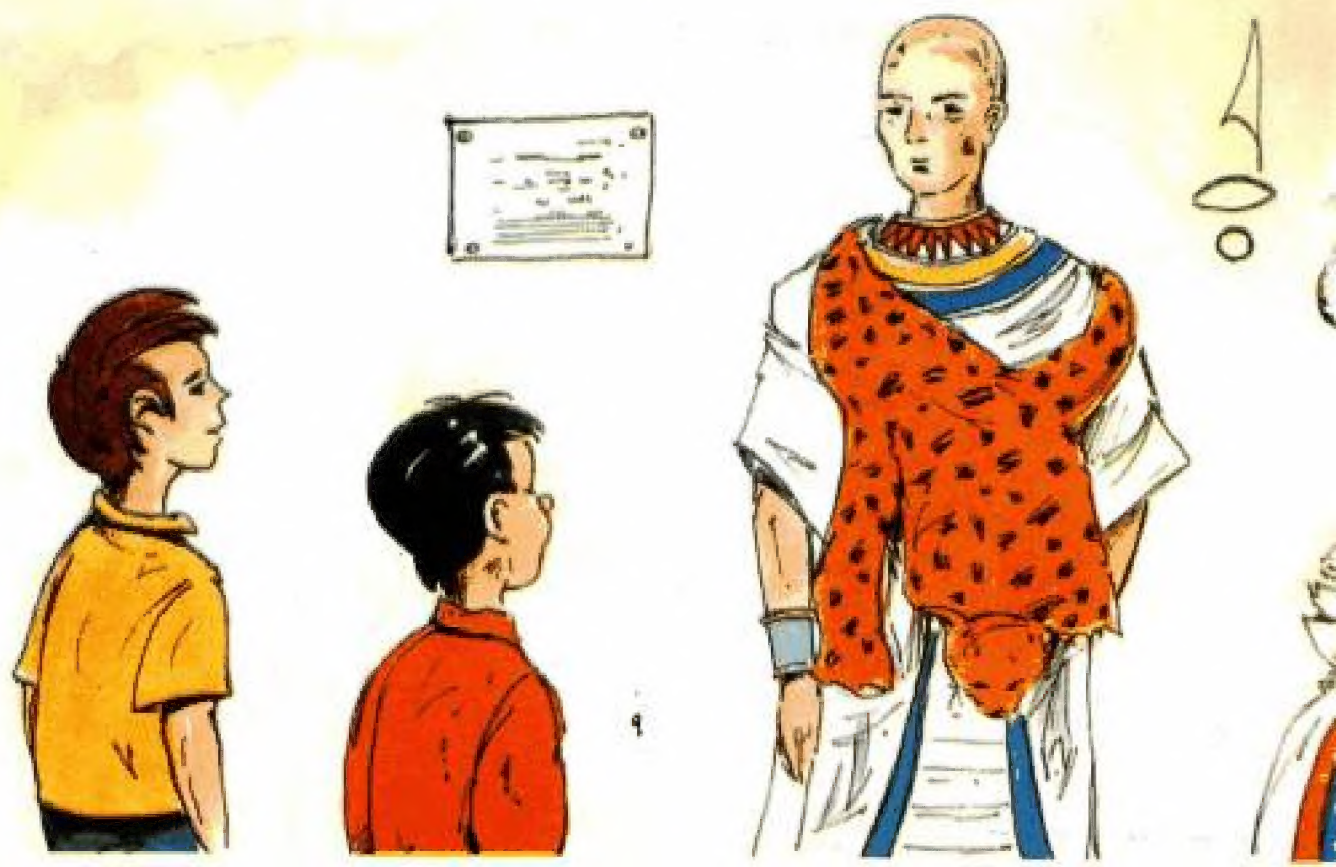


دولة ذات حكمٍ مُستقرٍ مُنظَّمٍ ، يحدِّدُ مسؤولية الحكومة عن شعبها ،
كما يوكِّدُ سلطانها عليه . "

" كذلك كانت أول دولةٍ يخترعُ شعبُها صناعةَ الورق ، وبذلك
تمَّ لأول مرةٍ في التاريخ، تسجيلُ مُنجزات الحضارة ، خاصة الفلك
والطبِّ والزراعة والعمارة والموسيقى والرسم والنحت . "
ثم أخذنا نتأملُ المشاهدَ المُجسَّمةَ المُتحرِّكةَ ، تُعيدُ بعثَ
مختلف جوانب العلم والفنِّ في مصر القديمة .

وتذكَّرتُ ما قالتهُ " نوبلكور " ، عالمة الآثار الفرنسية ، ومديرةُ
القسم المصريِّ بمتحف اللوفر :

" إن كلَّ الفنون والصناعات في عالم اليوم ، لابد أن نجدَ
جذورَها وأصولَها ، في الحضارة المصرية القديمة . "



ليس كل من ركب حصانًا ، يصبح فارسًا

مع الفجر ، وقف رجلٌ على الشاطئِ مدةً ساعتين ، يُراقبُ في دهشةٍ ذلك الصيادَ الذي استمرَّ يرفعُ بسرعةٍ ، كلَّ بضعِ دقائقٍ ، قصبَةً الصيدِ التي معه ، بعيدًا عن سطحِ الماءِ ، لينتزعَ من الصنارةِ سمكةً كبيرةً ، إلى أن امتلأت سَلَّتُهُ .

ثم راقبه يجمعُ أدواته ، ويتراجعُ بضعَ أمتارٍ على رمالِ الشاطئِ ، قبلَ أن يجلسَ ليتناولَ إفطارَهُ في رُحَا .

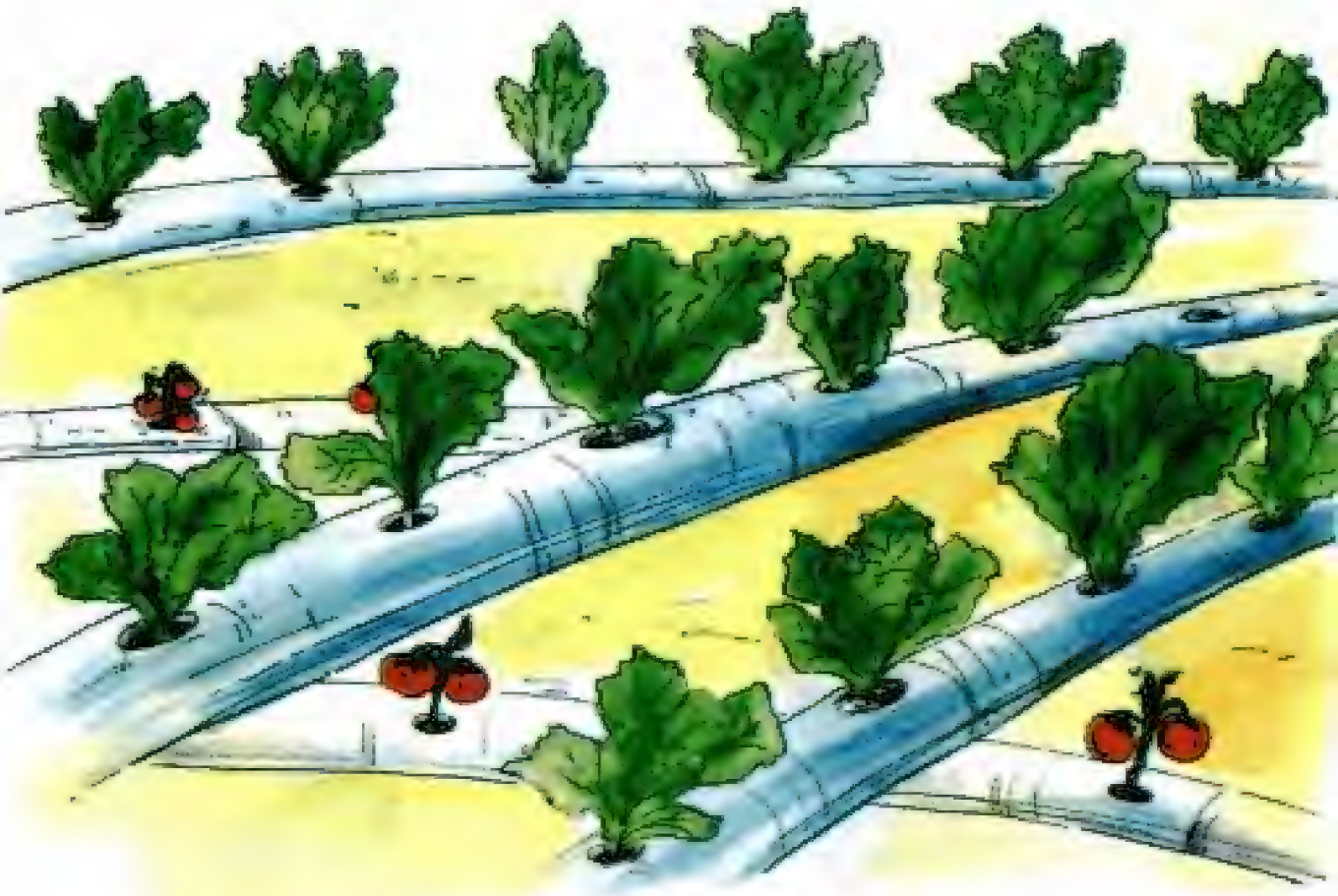
وفي هدوءٍ ، تقدَّم الرجلُ إلى نفسِ المكانِ ، الذي كان يقفُ فيه ذلك الصيادُ الذي ملأ سَلَّتُهُ ، واستخدمَ قصبَةً صيدٍ تُشبهُ تمامًا قصبَةً ذلك الصيادِ ، ثم ألقيَ صنارَتَهُ في نفسِ بقعةِ الماءِ .

ومضتْ دقائقٌ طويلةٌ ، ظلَّ خلالها ينتزعُ صنارَتَهُ المرةَ بعدَ الأخرى من الماءِ ، لكنَّ لا شيءَ يخرجُ مع قطعةِ المعدنِ البراقةِ !!
قالَ الرجلُ لنفسِهِ : " نفسُ المكانِ ، و نفسُ البحرِ ، و نفسُ أداةِ الصيدِ ، لكنَّ لا صيدَ . أنا سيئُ الحظِّ !! "

أما الصيادُ الجالسُ إلى الخلفِ ، فقد ضحكَ بغير صوتٍ ، وهو
يراقبُ محاولات الرجلِ الخائبةَ ، ثم همسَ لنفسه :
" هل ظنَّ الساذجُ أن مجردَ احتلالِهِ المكانَ الذي كُنْتُ أَشغلهُ ،
سيجعلهُ يُصيبُ من النجاحِ ما وصلتُ إليه ؟! لقد نسيَ الموهبةَ ،
و الخبرةَ ، و التدريبَ الطويلَ ، ودقَّةَ الإحساسِ الداخليِّ . "



الزراعة بغير أرض



في مساحةٍ من الرمال كأنها جزءٌ من الصحراءِ ، امتدَّ أمامنا
حقلٌ قطنٍ قد تفتَّحتْ لوزائهُ عن كمياتٍ كبيرةٍ الحجمِ من القطنِ .
وبجواره حقلٌ آخرٌ من نباتاتِ عباد الشمسِ المُمتلئةِ بالبذور ، ثم
بعضُ أشجارِ الموزِ .

وبهذا توصل العلم إلى زراعة النباتات التقليدية في المناطق
الرملية التي تندر فيها المياه .

ثم حملنا القارب الذي كان يتنقل بنا في مدينة ديزني العلمية،
إلى منطقة حافلة بالأنابيب والقطع المعدنية المسطحة ، وقد
ترعرعت من ثقبٍ فيها أوراق " الخس " والفلل الأخضر والطماطم .
إنها الزراعة بغير أرض ، وفيها تستمد النباتات الغذاء من المواد
الذائبة في الماء ، الذي يدور في الأنابيب .

ثم فوجئنا بنباتات الخيار والباذنجان الأبيض والأصفر معلقة
عالياً ، وجذور سيقانها مُترسلة في الهواء ، ونقط الماء المحتوى
على احتياجات النبات تنزل قطرة بعد قطرة على تلك الجذور التي
لا يُعطىها شيء .. إنها الزراعة الهوائية .

وبعدها شاهدنا الزراعة الفضائية ، التي تقوم بها وكالة الفضاء
الأمريكية " ناسا " ، تمهيداً لأن يحصل سكان مدن الفضاء ، في
المستقبل ، على ما يحتاجون إليه من غذاء .

كل هذا لم يكن خيال علماء ، بل هي حقائق قد تحققت .
وبقي أن يصل العلماء إلى خفض تكاليفها ، وعندئذ يجد سكان
الأرض كلهم ما يفيض عن حاجاتهم من طعام وغذاء .

تصور أنك أحد العلماء

"تصوّر أنك أحد العلماء ، وقد اكتشفت هذه النباتات التي أمامك .. حاول أن تعرف الفرق بين كل نبات وآخر . وعليك أن تقوم باختيار اسم لكل نبات ، على أن يتضمن الاسم أهم صفات النبات التي تميّزه عن غيره ."

هذا سؤال موجه إلى الأطفال في متحف الأطفال بنيويورك ، أمام رفّ عليه أربعة أوعية ، في كل وعاء نبات أخضر صغير . وفي متناول أيدي الأطفال ، أوراق وأقلام ، لكتابة ما يقترحونه من أسماء . وفي مكان آخر ، وقف الصغير أمام أربع سلال مصنوعة من الخيزران الرفيع ، كل سلة تم "نسجها" بطريقة تختلف قليلاً عن طريقة صنع السلال الأخرى ، وأمامها مكتوب : "حدد السلتين المتشابهتين ."

وفي ركن ثالث ، مجموعة أصداف ، وقطعة نحاسية على شكل نجمة ، وقطعة غريبة الشكل من الحديد ، وأمامها سؤال يقول للطفل : "هذه الأشياء يستخدمها الناس في غرض متشابه ، فما هو ؟!"

وعندما يريد الطفل أن يتأكد من صحة إجابته ، يجذب خيطاً ، فيرتفع غطاء صندوق ، يكتشف بداخله ورقة نقدية حديثة ، فيعرف أن تلك الأشياء كانت تُستخدم كنقود .



هذه نماذج من أنشطة متعددة ، تهدف إلى تنمية قوة
الملاحظة ، والقدرة على المقارنة ، وتحديد الفروق ، واستخلاص
النتائج ، وهذه هي أساسيات " التفكير العلمي " .



ذات مرة ، كتب قارئٌ ساخطٌ على أحدِ الكتابِ الصحفيين ، خطاباً ، وجهه إلى ذلك الكاتب ، يقول فيه : " أنا لا أوافق إطلاقاً على ما كتبتُه في مقالِكَ الأخير . "

وفي نهاية الخطاب ، أخذ يصفُ الكاتبَ بصفاتٍ غير لائقة ، ويوجهُ إليه مختلفَ الاتهامات .

لكن الكاتب ، الذي اعتادَ مثلَ هذا الأسلوبِ في رسائل بعض القراء ، أرسل إلى القارئِ خطاباً قال فيه : " يُسعدُنِي أن تزورَنِي في مكتبي ، لنبحثَ معاً هذا الموضوع ، وأستمعَ إلى آرائكَ بتفصيل أكثر . "

وعندما قامَ ذلك القارئُ بزيارتهِ فعلاً ، استمعَ الكاتبُ إلى آرائهِ وتفهمَها ، وكذلك استمعَ القارئُ إلى آراءِ الكاتبِ وفهمَ وجهةَ نظره .

قال الكاتبُ : " لم يكنُ من المهمِّ أن يقتنعَ بوجهةِ نظري ، ولا أن أوافقهُ على وجهةِ نظره . الشيءُ المهمُّ أن كلَّ واحدٍ مِنَّا استطاعَ أن يفهمَ الآخرَ ، وأن يُدركَ كلُّ واحدٍ مِنَّا أن الثاني قد كوّنَ رأيَهُ نتيجةَ اقتناعهِ به ، وليس تحت تأثيرِ أيةِ دوافعٍ خارجية ، أو لمجردِ ترديدِ آراءِ آخرين !! "